بالاجسام وكميته لا تزيد بل تنقص في الاختمار ويتلفي له اكثر من ستين درجة ليؤثر الاثر الذي لا تعطله السموم الفسيولوجية . واما الخميرة الميكروبية فتحول وتبدل ماهية المواد تحويلاً جوهرياً وكميتها ليست بمحدودة فانها تجري حكمها مهما زادت او قلت وهي تزيد او تنقص على نسبة كثرة الاختمار او قلته . وفعلها يحصل بين الـ ٢٥ و٤٠ من درجة الحرارة ويتعطل تماماً اذا أضيف اليه شيء من السموم الفسيولوجية . فلا ملابسة اذاً بين الاثنين

واما في بعض المواقع التي يحدث فيها اختمار مختلط كيماوي وحيوي كما في التعفن فيجري الخميران حكمهما معاً فالكيماوي الناتج بعضه عن الميكروب يحلل بوجوده المواد فيتناولها الحيوي ويغتذي بها فيحولها ويبدل ماهيتها تبديلاً جوهرياً فاذا اردنا من ثم ان نوافق لبيج ونقبل بان التحلل الطاريء على العناصر في الاختمار يحصل عن اختلاط او مجمعة عنصرية اشبه شيء بالخميرة وان هذه لا يمكن حصولها الاّ بوجود الخلايا وحياتها واقتياتها فلا يعتبر حينئذ لبيج معترضاً بل مؤيداً لرأي الحيويين .

وفحوى القول إن الحيويين بعد ان استمروا نحو خمسين سنة بين دفاع وهجوم ظفروا بجميع من عاداهم وعاندهم . وسلم بصحة آرائهم قابضو زمام العلم من جميع الامم والملل . فتوطدت بينهم دعائم السلام وعلائق الاتفاق ونشرت راية الاتحاد والتعاضد لمحاربة العدو المضرّ من انواع الميكروب بالاكتشاف على مكامنه وحركاته وختلاته وخزاته فيمزقون حبائله ويخلصون الجنس البشري بل عالم الاحياء اجمع من حملاته وصولاته ويكسرون حدته وشوكته ابداً .

دمشق سليمان غزالة

اليونانيه

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية — قامت اجمل المباني في اليونان تعظيماً للارباب فمتى ذُكرت هندسة اليونان فلا يذهب الفكر الاّ الى معابدهم . وليس المعبد اليوناني كالبيعة النصرانية خاصاً بقبول المؤمنين الذين يهرعون الى الصلاة فيها بل هو قصر ينزله الرب وتمثاله يمثله فصر تحفه الابهة والجلالة ولا يلجه جمهور المؤمنين بل يطوفون خارجه حوالى مذبح تحت السماء وقد قامت مقصورة الرب في وسط المعبد وهو مزار سري لا نافذة له ولا ضوء ينفذ اليه

الا ما كان من كوى في الاعالي . وقام الصنم في داخله محمولاً من خشب او رخام او عاج لابساً ذهباً محلىً بالثياب والحلي وكثيراً ما يكون هيكلاً عظيماً . وقد مثل زيوس في معبد الاولمبيا قاعداً ويكاد يصل رأسه الى القمة ولذا قيل ان الرب لو تمثل قائماً لخرق السقف وقد حُجب هذا المزار عن الانظار من كل ناحية وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويجتاز من يروم دخوله ضرباً من الرواق مؤلفاً من صفوف من السواري . ووراء الغرفة غرفة ثانية معلقة فيها الاعلاق الثمينة الخاصة بالرب وجميع قنياته (١) وربما جعل فيها ذهب المدينة ونفستها . وهكذا كان المعبد صواناً وكنزاً ومتحفاً وتحيط بالمعبد صفوف من السواري من اطرافه الاربعة مؤلفة حوالى جدار المزار غشاء ثانياً للرب وكنوزه والسواري على ثلاثة انواع تختلف باختلاف اساسها ورأسها او تاجها وعلى كل منها اسم الامة التي اخترعتها او اكثرت من استعمالها وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الايونية والسواري الكورنثية . ويدعى المعبد باسم السواري التي بُني عليها . وفوق الاعمدة حوالى البناء صفائح من رخام منقوشة على شكل اللوحة تتناوب على قطع من رخام منضمة ومنها يتألف الافريز . ويعلو المعبد بنية مثلثة في اعلى مقدم البناء مزدانة بتماثيل وقد صوّرت المعابد اليونانية بالوان عديدة من اصفر وازرق واحمر وبقي اهل التمدن الحديث زمناً وهم يأبون تصديق ذلك . وكان من الوهم العام ان لا بناء اليونان ذوقاً معتدلاً جداً في نقش البناء . بيد انه اكتشفت في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقي مجالاً للشك حتى ادت الحال بالباحثين ان علموا بالتأمل فيها ان تلك الالوان اللامعة لم تحسن اخراج الخطوط وكان عليها ان تحسنه اكثر من ذلك .

صنعة النقش اليوناني — يتراءى المعبد اليوناني باديء بدء انه ساذج لا زينة فيه وما هو الاّ علبة مستطيلة من حجر موضوع على صخر اما الواجهة فتحتوي على شكل مربع تعلوه زاوية . فلا ترى لاول نظرة غير خطوط مستقيمة وأسطوانات حتى اذا نظرت فيها عن أمم تنكشف لك انه ليس من هذه الخطوط المستقيمة العديدة الا خط واحد مستقيم في الحقيقة . فالسواري منتفخة نحو الوسط والخطوط القائمة منحنية قليلاً نحو المركز والخطوط الأفقية محدبة في الوسط . وكان هذا من الدقة بحيث اقتضى قياسه بالتدقيق لاكتشاف الصنعة فيه . وقد لحظ النقاشون اليونان ان اخراج مثل هذا المجموع المتطابق

(١) كان في البارتينون احد معابد آثينة على قول خزنة كنوز الارباب اوانٍ ذهبية وفضية وتاج من ذهب واتراس مخوذات وسيوف وحيات من ذهب ومنضدة من عاج وثمانية عشر فراشاً وجعاب من عاج ايضاً (المؤلف)

من البناء يقتضي تجنب الخطوط الهندسية التي تظهر منحدرة وتوفير العناية بظواهر المناظر البعيدة . قال كاتب يوناني ان غاية النقاش ان يخترع طرقاً يسحر بها اعين الناس . ولقد كان اهل الصنائع في يونان يعملون باخلاص لانهم يعتقدون عملهم قربى من احد الارباب لذلك كانت صنائعهم معتنىً بها في كل اطرافها حتى فيما لا يرى منها وهي من المتانة بحيث يطول امد بقائها بعد لو لم يعاجلها التخريب بشدة . ودام البارتينون الى القرن السابع عشر سليماً وانشق شطرين بانفجار مخزن من البارود كان بقربه وقد جمع النقش اليوناني الى المتانة حسن ذوق والى السذاجة علماً ومهارة . زالت معابد اليونان كلها تقريباً ويكاد يبقى بعضها مبعثراً مخدوشاً مهدماً متداعي الاركان وربما كانت طبقات من سوار على انها تكفي على علاتها ان تلفت نظر من يراها .

النقش — لم يكن النقش عند المصريين والاشوريين الا زينة من توابع الابنية اما اليونان فقد احلوه محل صناعة رئيسة . واشهر ارباب الصنائع عندهم النقاشون فيدياس وبراكسيتيل وليزيب . فينقشون البارز دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواجهته والبنية المثلثة في اعلى البناء . ومن هذا النوع الافريز الشهير في الباناتينيه المحيط بالبارتينون وهو يمثل تطواف شابات آثينة يوم الاحتفال بعيد الربة الكبير . وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماثيل خاصة بعضها يمثل ربّة ويستخدم صنماً وبعضها يمثل مصارعاً ظافراً في الالعاب الاحتفالية أُقيمت له هذه التماثيل جزاء نصرته .

واقدم التماثيل اليونانية منحدرة عوجاء تشبه النقوش الاشورية ثم غدت لدنة ظريفة وكانت اعظم الاعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيل في القرن الرابع اما تماثيل القرون التالية فانها على التأنق فيها اقل شرفاً وعظمة . وكان في يونان ألوف من التماثيل اذ ان لكل مدينة تماثيلها وقد تابع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة خمسة قرون ولم يبق منها على كثرتها غير خمسة عشر تمثالاً لم تعبث به الايدي . ولم ننقل الينا طرفة من الطرف الشهيرة بين اليونان واشهر تماثيلنا اليونانية اما ان تكون نسخة عن الاصل مثل تمثال الزهرة في ميلوا او اعمالاً أُثرت عن عصر الانحطاط مثل تمثال ابولون في البلفيدير . ومع هذا فقد بقي منها ما يكفي اذا أُضيفت اليها قطع التماثيل والصور البارزة التي ما زالت تستخرج بالحفر لان يتصوّر المرء حالة النقش اليوناني ويكون له فكر اجمالي عنها فالمهندسون اليونان فكروا اولاً في تمثيل اجمل الاجسام في مظهر وقور شريف . وما اضاعوا الفرص كلما سنحت ليشهدوا اجمل الرجال في اجمل اهياآت من محل الرياضة والجيش والمراقص والاجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون نقلها . وما ضاهاهم احد في محاكاة الجسم البشري

ومن العادة ان يكون الرأس صغيراً في تمثال يوناني والوجه ساكناً كامداً ولم يعن اليونان مثلنا بمعاني الوجه بل يعتنون بجمال التخاطيط ولم يراعوا التناسب بين الاعضاء والرأس والجسم برمته مثال الجمال في التماثيل اليونانية .

صناعة الخزف — عرف اليونان ان يتخذوا من الفخار صناعة حقيقية دعوها سيراميك بقي منها اسمها فقط فالخزف او الفخار يعتبر في يونان مساوياً لسائر الصناعات ولكن له منفعة عظيمة لنا وذلك اننا نعرفه احسن من معرفتنا غيره فقد تداعت المعابد والتماثيل اما اعمال الخزافين اليونان فقد حفظت بحالها في المدافن التي يعثر فيها عليها اليوم . وقد جمع منها الى الآن زهاء عشرين الف خزفة في متاحف اوروبا وهي نوعان : الاواني المنقوشة بنقوش سوداء او حمراء على اختلاف الحجم والشكل . والتماثيل الصغيرة المعمولة من التراب المطبوخ التي عرفت منذ خمس عشرة سنة وقد اشتهرت الآن او كادت منذ اكتشفت الدمى البديعة في تاناكار من بيوسيا ومعظمها انصاب صغيرة وبعضها يمثل اولاداً او نساء

التصوير — اشتهرت في يونان عصابة من المصورين مثل زوكسيس وفارانيوس وابيل وكل ما اتصل بنا عنهم يرجع الى بضع اقاصيص وربما كانت مبهمة في الاحايين او الى بعض اوصاف ذات صور . وانا الموقوف على حالة التصوير اليوناني قد اقتصرنا على ما عثر عليه من تصاوير الحوائط في بيوت بومبي احدى المدن الايطالية وهي من القرن الاول للميلاد وكأنها تقول بلسان الحال اننا لم نعرف عنها شيئاً

التجارة الآثينية — اصبحت آثينة في القرن الخامس مدينة كبرى على حين كانت اتيكيا اقليماً مجدباً لا تغل ما يكفي لاعالة سكانها فتضطر الى جلب الحنطة والخمر والسمن والسمك من الخارج . وقد كان عبيد آثينة على العكس يعملون الثياب والخزف والسلاح والاثاث مما يباع خارج بلادهم . ثم كثرت اساليب التجارة . فكانت البضائع ترد الى مرفإ بيرا او تصدر منها وكانت أنشئت فيها ارصفة ومخازن وقد سماها احد الخطباء في القرن السادس بانها سوق بلاد اليونان بأسرها . وكانت تأتيها حاصلات بلاد الشمال خاصة ويحمل اليها من الداخلية في موانئ البحر الاسود وتراسيا الحنطة والخشب والجلود والعبيد وكانت آثينة تتجر مع اليونان النازلين في جنوبي ايطاليا الى نابولي . واذ كان لكل مدينة يونانية نقودها الخاصة بها فقد كان يأتي آثينة دراهم من ضروب مختلفة فاقتضى لذلك صيارفة يبدلونها وكانوا يدعونهم «ترابيزيت» لانهم كانوا يجلسون في الساحة وراء منضدة (ترابيزة) وكانوا كلهم تقريباً من الغرباء الذين اصبحوا ميتيكيين ثم انهم كانوا اتخذوا مهنة اضافوها الى مهنتهم تلك وهي اقراض النقود فيخزنون الدراهم ويقرضونها بفائدة فاحشة بنحو (٣٠ في المئة)

حرب المورة

خصائص عامة — الاستيلاء على آثينة

خصائص عامة — انقسم اليونان الى قسمين بعد تأسيس مملكة آثينة في الجزائر اليونانية فكانت المدن الساحلية خاضعة الى آثينة والمدن الداخلية باقية تحت امرة اسبارطة . وبعد خلاف طال امره نشبت الحرب بين اسبارطة وحليفاتها في ذاك الصقع من جهة وآثينة ورعاياها الساحليين من الجهة الاخرى وكانت هذه الحرب هي المعروفة بحرب المورة . دامت سبعاً وعشرين سنة (٤٠٤ — ٤٣١) ولما القت اوزارها عادت فنشبت باسم آخر الى سنة ٣٦٠

كانت تلك الحروب مشوشة يقتتل المتحاربون فيها براً وبحراً يقتتلون في ارض اليونان وفي آسيا وتراسيا وصقلية اي في اصقاع مختلفة وكان جيش الاسبارطيين احسن انتظاماً فجعل مقاطعة اتيكيا قاعاً صفصفاً وكان اسطول الآثينيين اكثر استعداداً لحرب الشواطىء ولم يؤثر عن تلك الحروب الناشبة بين المدن اليونانية الا الشدة ويكفي في وصفها الاشارة الى بعضها . فقد كان احلاف الاسبارطيين في بدء الحرب يلقون في البحر جميع سلع المدن المعادية لهم فقابلهم الآثينيون بقتل سفراء اسبارطة بدون ان يستمعوا لاقوالهم .

خضعت مدينة بلاتيه صلحاً وكان وعد الاسبارطيون جماعة المحاصرين بانهم لا يعاقبون احداً بدون محاكمة واليك مع هذا كيف كان قضاة الاسبارطيين يعاملون الاسرى : يسألون كل واحد منهم عما اذا قام في خلال الحرب بخدمة للاسبارطيين فكان الاسير يجيب سلباً فيحكمون عليه بالاعدام . وقد بيع النساء كالاماء . عصت مدينة مدللي على الآثينيين فاعادوها الى طاعتهم ثم اجتمع الشعب الآثيني وبعد المشورة بينه قضى باعدام سكان مدللي ثم انه رجع من الغد عن رأيه وارسل باخرة ثانية تحمل العفو عن اولئك المنتقضين . بيد انه كان نفذ حكم الاعدام على زهاء الف من سكان مدللي . وكان من العادة اذا داهم جيش بلاد العدو ان يخرب البيوت ويقطع الاشجار ويحرق الغلات ويقتل الحراثين . وبعد انتهاء الحرب يُجهز على الجرحى ويعمد الى قتل الاسرى صبراً . واذا جرى الاستيلاء على مدينة يؤول كل ما فيها ملكاً للغالب فيباع رجالها ونساؤها واولادها كما يباع العبيد . هكذا كانت اذ ذاك حقوق الحرب . وقد اوجزها توسيديد في خطاب له في الجملة الآتية قال : تنفض المسائل بين الناس بواسطة قوانين العدل متى اضطروا اليها من الطرفين ولكن القوي يأتي ما في طاقته والضعيف يذعن له . فالارباب يتسلطون بضرورة الفطرة لانهم الاقوياء والناس يجرون على مثالهم .

الاستيلاء على آثينة — وما تعب الشعبان من هذه الحرب الباطلة عقدا السلم بينهما ولكن امده لم يطل . وذلك ان آثينة بعثت بجيشها الى صقلية لفتح سيراكوس المحالفة لاسبارطة وهناك أحيط به وبعد نكبة سيراكوس أسر الجيش الآثيني برمته وطنق الغالبون يخنقون عامة القواد وجماعة من الجند ومن ابقوا عليه انزلوهم الى لاتومي وهي مقالع قديمة كانت تتخذ حبوساً القوم فيها سبعين يوماً متزاحمين متراصين لا وقاية تقيهم حرارة الشمس في الصيف اورطوبة ليالي الخريف . فمات كثير منهم مرضاً وجوعاً وعطشاً لانهم لم يكادوا يطعمونهم الا ما يسد رمقهم بعض الشيء وبقيت اشلاؤهم ملقاة على الارض تفسد الهواء ثم اخرج اهل سيراكوس من بقي حياً من الآثينيين وباعوهم كما يباع الرقيق . واقام الاسبارطيون حامية في جبال اتيكا بحيث تمكنوا من توقيف تجارة آثينة مع بلاد الشمال ومنها كانوا يأتون بالحنطة . وذهب ليزاندر القائد الاسبارطي الى آسيا واخذ مالاً من الفرس جهز به اسطولاً وطاف شواطيء آسيا واذ كان احلاف آثينة لا يقاتلون الا بالقوة تركوه وشأنه ثم ان ليزاندر حطم الاسطول الآثيني في آسيا (٤٠٥) وحاصر آثينة واخذها جوعاً واضطرها الى تخريب اسوارها وحرق سفنها الحربية .

أين مني ما أريد

اريد لو استتب لي الخلود ... ولكن اين مني ما أريد
على ان البقاء يطيل همي ... وما سيفي رديته ما استفيد
وليس بنافعي شيئاً بقائي ... وقد غصت باحبابي اللحود
ولكن كيف اقناعي لنفس ... تعلقها بدنياها شديد
أأصبر عن احبائي الأولى قد ... ثووا اني اذاً رجل جليد
مشوا للموت من دار اقاموا ... معي فيها فاقفرت العهود
تثير ديارهم حزناً بقلبي ... وتوحشني التهائم والنجود
فان بك في الاسى رجل وحيد ... فاني ذلك الرجل الوحيد

***

يسير الى المقابر كل يوم ... اخ منها التراب به يزيد
ولو عاد الذي يمضي سلونا ... ولكن من ترحل لا يعود
وما هي حالة الشهداء فيها ... أيقاظ هنالك ام رقود
نعمرك لا يرد الموت حصن ... ولا هذي الدساكر والجنود